قصص القرآن (٢)

قصة هود — قصة ناقة صالح

قصة إبراهيم وقومه — قصة إبراهيم والأصنام

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم — ياسر علي نور

مصطفى عبد العزيز — محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشيد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

obeikan.com

قصّةُ هُودٍ

أَنعمَ اللهُ تعالَى علَى قومِ عادٍ بنِعَمٍ كثيرةٍ، ورزَقَهُمُ الأموالَ والأولادَ والعِلمَ والقُوّةَ، إلّا أنَّهُمُ استعملُوا نِعمَ اللهِ في معصيتِه، فطَغَوْا وكَفَرُوا، وبَطشُوا واعتَدَوْا، وكانُوا يَقولُونَ: مَن أشدُّ مِنّا قوّةً؟ ونسُوا أنَّ اللهَ الّذي خلقَهُم هوَ أشدُّ مِنهُم قُوّةً.

وسكنَ قومُ عادٍ في المَباني العاليةِ الحصينةِ، وحَسِبُوا أنَّهم يخلُدونَ فيها، مُتجاهِلينَ أنَّ كلَّ بِناءٍ لا بدَّ أَن يَزولَ.

وزادَ فسادُ عُقولِهم ومُعتقداتِهم، فأنكَرُوا البَعثَ والحسابَ، وقالُوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وزادُوا فوقَ ذلكَ أنّهمُ اتخذُوا مِن دُونِ اللهِ أصنامًا يَعبُدونَها ويَتقرَّبُونَ إلَيها، وهيَ لا تَملكُ لَهُم ضَرًّا ولا نَفعًا، ولا مَوتًا ولا حياةً.

ولِأنَّ سُنّةَ اللهِ في خلقِه اقتضَتْ ألّا يُعذِّبَ قومًا حتَّى يبعثَ إلَيهِم رَسولًا، فقدِ اختارَ اللهُ مِن قومِ عادٍ واحدًا مِنهُم،

هوَ نبيُّه هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأرسلَه إلَيْهِم بَشيرًا ونَذيرًا، وداعيًا إلَى اللهِ، وإلَى طريقِه المُستقيمِ.

فتوجَّهَ هودٌ إلَى قومِه، وقالَ لَهُم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٤٣-١٤٤]، وذكَّرَهُم ببعضِ نِعَمِ اللهِ علَيهِم، ونصحَهُم، ولكنَّهُم كذَّبُوه وقالُوا لَه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

ولكنَّ هُودًا قالَ لَهُم في سَماحةٍ: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾. وبيَّن لَهم أنَّه لا يُريدُ مِنهُم أجرًا ولا مالًا، وإنَّما يبغي هدايتَهم وإخراجَهم مِن الضلالِ إلَى الإيمانِ ومِن الظلامِ إلَى النورِ، فقالُوا لَه: يا هودُ إنّكَ لَمْ تَأتِنا بمُعجزةٍ خارقةٍ تُصدّقُ قولَك، ولَن نتركَ عِبادةَ آلهتِنا بمُجرَّدِ كلامِك ودَعوتِك، بَلْ إنَّنا لَن نُؤمنَ لكَ، وما نَظنُّكَ إلّا رجلًا مَجنونًا.

وحاولَ هودٌ معَ قومِه مرّاتٍ عديدةً، وأخذَ يُذكِّرهُم بنِعمِ اللهِ علَيْهِم، لكنَّهُم أصرُّوا علَى كُفرِهِم، وقالُوا: لَن نُخالِفَ

آباءَنا، فإن كنتَ صادِقًا فائْتِنا بالعذابِ والنَّكالِ، فإنَّا لَن نُؤمنَ بكَ ولَن نتَّبعكَ.

وقالُوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فأجابَهُم هودٌ إجابةً حاسمةً، وقالَ لَهُم: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

وبدأَتْ مُقدِّماتُ العِقابِ الإلهيِّ، إذِ امتنعَ سُقوطُ المطرِ، فماتَ الزَّرعُ وجفَّتِ الأرضُ، فأصابَهُم قَحطٌ، وعاشُوا في مَجاعاتٍ وآلامٍ لا يَجدونَ لَها حلًّا.

وخرجُوا يَستغيثُونَ، ويَطلبونَ نُزولَ المطرِ، فنَظرُوا في السّماءِ، فرأَوْا سَحابةً سَوداءَ، فظنُّوا أنَّها قدْ أتَتْهُم بالمطرِ فاطمَأنُّوا، وظنُّوا أنَّ عذابَهُم سيَنتهي قَريبًا، ولكنَّ فرحتَهُم سَرعانَ ما تبدَّدتْ وذهَبَتْ، فلَمْ تكُنْ سحابةَ مطرٍ، وإنَّما كانتْ رِيحًا، قالَ تَعالَى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٥].

واستمرَّتْ رِيحُ العذابِ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ حُسُومًا، فدمَّرتْ فيها كلَّ شيءٍ، ولَم تترُكْ مِن المُشركينَ أحدًا، ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾، وكانَ هذا عقابَهم في الدُّنيا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

أمّا هودٌ ومَن معَه مِن المُؤمنينَ، فقدْ نجَّاهُمُ اللهُ مِن ذلكَ العذابِ، فلَم يُصبْهُم ما أصابَ الكافرينَ.

لقدِ استكبرَ قومُ عادٍ وغرَّتْهُم قُوَّتُهم، ونَسُوا أنَّ اللهَ سُبحانَه هوَ القويُّ وحدَه، وكذَّبُوا بآياتِ اللهِ وبرسولِه، فأَذاقهُمُ اللهُ سُبحانَه العذابَ في الدُّنيا والآخرةِ.

** ** **

قصةُ ناقةِ صالحٍ

كانَ قومُ ثمودَ يَسكنُونَ شِبهَ الجزيرةِ العربيّةِ، في مَنطقةٍ خَصيبةٍ، تَكثرُ فيها البَساتينُ وعيونُ الماءِ، وتَمتازُ بالخُضرةِ والجَمالِ، خَيرُها كثيرٌ، ورِزقُها وفيرٌ؛ وكانَ أهلُ ثَمودَ مُتفوِّقينَ في فنِّ العِمارةِ، بارعينَ في البِناءِ، فأَقامُوا القصورَ الفخمةَ في السُّهولِ والجِبالِ، وعاشُوا في أَمنٍ ورَخاءٍ، ولكنَّهُم لَم يَشكرُوا اللهَ علَى ما أَنعمَ بِه عليهِم، وإنَّما كفرُوا واستكبرُوا في الأرضِ بغَيرِ الحقِّ، وعَبَدوا معَ اللهِ آلهةً أُخرَى، ولَم يأخُذُوا دَرْسًا مِمّا حدثَ للأُممِ السّابقةِ.

وأرسلَ اللهُ تعالَى إلَيهِم صالِحًا عليه السلام ليُنذرَهُم عاقبةَ ما هُم فيهِ، فقالَ لَهُم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١]. وكلَّمَهُم صالحٌ بلُطفٍ ولِينٍ، وبيَّنَ لَهُم أنَّه إنَّما يدعُوهُم إلَى طاعةِ الإلهِ الحقِّ، وأنَّه مستمِرٌّ في دعوتِه، فقالَ: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن

رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾.

فآمنَ بصالحٍ بعضُ الناسِ مِن الفُقراءِ، وخافَ الأغنياءُ، فراحُوا يُبعدونَ الناسَ عَن صالحٍ وعَن دعوتِه، فكانُوا يقولُون لَهُم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟ فيُجيبُهم مَن آمَنَ: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾، فيَقولُونَ لَهُم: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وظلَّ نبيُّ اللهِ صالحٌ يقولُ لَهُم: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

لكنَّهُم لَم يُصدِّقُوا، بَلْ عاندُوا وابتعدُوا عَن طريقِ الحقِّ والصَّلاحِ، واتَّهمُوا نبيَّ اللهِ صالحًا بالكَذبِ، وقالُوا: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ

مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾، واتَّهمُوه بالسِّحرِ، فقالُوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾.

فصبرَ صالحٌ علَى هَذا الأذَى، واستمرَّ في نُصحِهِم ودَعوتِهم قائلًا: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾. ثُمَّ سألُوه أَنْ يأتيَهم بمُعجزةٍ تَشهدُ له علَى صِدقِ ما يَقولُ، وتدلُّ علَى أنَّه نبيٌّ، فقالُوا: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فدَعا صالحٌ ربَّه أَنْ يُجيبَ القومَ إلَى طلبِهِم. واستجابَ اللهُ دُعاءَه، وأرسلَ المُعجزةَ الّتي طلبُوها، فقَدْ فُوجئَ القومُ بناقةٍ ضخمةٍ لَم يرَوْا مِثلَها مِن قبلُ، تخرُجُ مِن صُخورِ الجبلِ؛ فخافُوا وانقسمُوا علَى أنفُسِهِم؛ فمِنهُم مَن صدَّقَ وآمَن، ومِنهُم مَن كذّبَ وكفرَ. فقالَ لَهُم صالحٌ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

ثمَّ أخبرَهُم بأنَّ الناقةَ ستُقاسِمُهُمُ الماءَ الّذِي في أرضِهِم، فلَها يومٌ تَشربُ فيهِ، ولَهُم يومٌ، وكانَ هَذا الأمرُ بوحيٍ مِنَ

اللهِ، وأكَّدَ عليهِم ضَرورةَ احترامِ ذلكَ الشَّرطِ حتَّى لا يتعرَّضُوا لِعقابِ اللهِ وعذابِه إِنْ هُمْ خالفُوا ما يَأمرُهُم به، كَما حذَّرَهُم مِن أَنْ يتعرَّضُوا لَها بسُوءٍ، فقالَ لَهُم: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وعاشَ الناسُ زمَنًا، يتركونَ الماءَ للناقةِ يَومًا، مُقابلَ ما يَنتفِعونَ بِه مِن لَبنِها الكثيرِ، وفي اليومِ التّالِي يَشربُونَ مِن الماءِ. ورَغمَ تلكَ المُعجزةِ ظلَّ كثيرٌ مِن قومِ صالحٍ علَى عنادِهِم وكُفرِهم واستكبارِهِم، فتَجمَّعُوا في قصرِ واحدٍ مِنهُم، وأعلَنُوا رفضَهُم لِوجودِ الناقةِ؛ لأنَّ وُجودَها قَدْ جعلَ كثيرًا مِنَ الناسِ يُؤمنونَ بصالحٍ، ففكَّرَ الحاضرونَ، واتَّفقُوا علَى ضَرورَةِ التَّخلُّصِ مِنَ الناقةِ، ومِن نبيِّ اللهِ صالحٍ.

واختارُوا تسعةَ رجالٍ مِن كفّارِ المدينةِ، ليُنفِّذُوا تلكَ المُهمّةَ، فتجمَّعَ أُولئكَ التِّسعةُ واختارُوا مِن بينِهم أشدَّهُم كُفرًا وضَلالةً، وأجرأَهُم علَى القتلِ وسَفكِ الدِّماءِ؛ ليُنفِّذَ الأمرَ، وزيَّنَ لَهمُ الشّيطانُ ذَلكَ، فقتلُوا الناقةَ. وبذلكِ خالفَ قومُ

ثمودَ أمرَ ربِّهم، وتحدَّوُا اللهَ سُبحانَه ونبيَّه عليه السلام. فقالَ لَهُم صالحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

فلَمْ يَهتمَّ أُولئكَ الكافرُونَ، وراحُوا يُدبِّرُون لقتلِ صالحٍ نفسِه. وأَوحَى اللهُ إلَى نبيِّه أَنْ يَخرُجَ بأهلِه والّذينَ آمنُوا معَه، تارِكينَ أُولئكَ المُعذَّبينَ وراءَهُم. فخَرجَ صالحٌ وهُو حزينٌ علَى أولئكَ الّذينَ زيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ أعمالَهُم، فصَدَّهُم عَنْ سبيلِ الحَقِّ؛ فقالَ لَهُم صالحٌ: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

وحانَتْ لَحظةُ العذابِ الأليمِ، وفي صباحِ اليومِ المَوعودِ، أرسلَ اللهُ علَيهِم صيحةً شديدةً مِنَ السَّماءِ، ورَجفةً شَديدةً مِن أَسفلِهِم؛ فأَصبَحُوا في ديارِهِم جُثثًا هامدةً لا أرواحَ فِيها ولا حركةَ، قالَ تعالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٦-٦٨].

قصّةُ إبراهيمَ وقومِه

وُلدَ إبراهيمُ عليه السلام في بابلَ بالعراقِ، وكانَ الناسُ في ذلكَ الزَّمنِ يَعبدُون الكواكبَ والأصنامَ، ولكنَّ اللهَ سُبحانَه عصَمَ نبيَّه إبراهيمَ مِن ذلكَ؛ فعَلِمَ مُنذُ صِغرِه أنَّ هذِه العبادةَ لا تكونُ إلّا للهِ خالقِ السّماواتِ والأرضِ.

وكانَ آزرُ ـ والدُ إبراهيمَ ـ يصنعُ هذِه التماثيلَ والأصنامَ، ويعبُدُها مثلَما يفعلُ قومُه، فبعثَ اللهُ إبراهيمَ إلَى قومِه، ليدعُوَهُم إلَى عبادةِ اللهِ وحدَه، وينهاهُم عمّا هُم فيهِ مِنَ الكُفرِ والضّلالِ، فتوجَّه إبراهيمُ إلَى أبيهِ وخاطَبَه بالقولِ اللّيِّنِ والأدبِ الجميلِ، ودعاهُ بالحُسنَى إلَى عبادةِ اللهِ وحدَه، وقالَ لَه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٢-٤٥].

فلَم يَقبلْ آزرُ كلامَ إبراهيمَ، بلْ هددَّه وتوعَّدَه وأمرَه أن

يهجُرَه ويَبتعدَ عَنه قائلًا له: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾، فقابلَ إبراهيمُ تهديدَ والدِه بصَدرٍ رَحْبٍ ونفسٍ مُطمئنّةٍ، وقالَ لَه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، وتركَ إبراهيمُ أباهُ، وانصرفَ وهُو حزينٌ لتمسُّكِ أبيهِ بالكفرِ وعدمِ إيمانِه باللهِ.

وأرادَ إبراهيمُ أَنْ يُبيِّنَ لِقومِه فسادَ الآلهةِ الّتي يَعبدُونَها، وأَنْ يُقنعَهُم بالعقلِ والحُجّةِ، فذهبَ إلَى الّذينَ يَعبدُونَ الكواكبَ، وانتظرَ حتَّى دخلَ اللّيلُ، وظهرَ كوكبٌ منيرٌ في السّماءِ، فأجابَهُم إلَى قولِهِم، وقالَ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، ثُمَّ انتظرَ حتَّى غابَ هَذا الكوكبُ وأَفَلَ وأَظلَمَ، فأَعلنَ لِقومِه أنَّه لا يَصلُحُ أَنْ يكونَ إلٰهاً، وقالَ لَهُم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾، وانتظرَ حتَّى طلَعَ القمرُ وامتلأَتِ السّماءُ بضِيائِه ونُورِه، فقالَ لِقومِه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، فلَمّا غابَ القمرُ، واختفَى نورُه تبرَّأَ مِنهُ، وقالَ لِقومِه: إنَّه ليسَ إلٰهاً. فلَمّا طلعَتِ الشمسُ مُشرقةً مُضيئةً، وأَرسلتِ الدِّفْءَ والنُّورَ في كلِّ مكانٍ، قالَ إبراهيمُ: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾، ولَمّا غرَبتِ الشمسُ، ووضَحَ للناسِ أَنَّ

هذِه الكائناتِ كلَّها لا تَصلُحُ أَنْ تكونَ إلهاً، قالَ لِقومِه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

لكنَّهُم لَم يَستجيبُوا لِدعوَتِه، بَلْ ظَلُّوا يُجادلُونَه، ويُهدِّدونَه بأَنَّ آلهتَهُم ستُصيبُه بالأذَى أوِ السُّوءِ، فلَمْ يَستمعْ لكلامِهِم، وتعجَّبَ مِنهُم لأنَّهُم يَخافونَ مِن أشياءَ لا تَضُرُّ ولا تَنفعُ، ولا يَخافُونَ مِنَ اللهِ سُبحانَه.

قصّةُ إبراهيمَ والأصنامِ

بيَّنَ إبراهيمُ لقومِه أنَّ عِبادةَ الكواكبِ والنُّجومِ ضلالٌ وشِركٌ، ونصَحَهُم بعدمِ عِبادةِ الأصنامِ الّتي يَصنعُونَها مِنَ الصُّخورِ والأخشابِ، وسألَهُم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؟ فأخبرُوه أنَّها مِن صُنعِ آبائِهِم وأجدادِهِم، فقالَ لَهُم: ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

وسألَهُم إبراهيمُ: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾؟ وأكَّدَ لَهُم أنَّها لا تنفعُ ولا تَضرُّ، فكيفَ يعبُدونَها

والعبادةُ لا تكونُ إلّا للهِ وحدَه؟! ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، وأقسمَ إبراهيمُ أنَّه سَيُحطِّمُ هذِه الأصنامَ. وانتظرَ حتَّى جاءَ يومُ عيدِهِمُ الّذي يَحتفلونَ بِه خارجَ البَلدةِ، فذهبَ إلَى أصنامِهِم، فوجدَ قومَه قَدْ وضَعُوا أمامَها الطعامَ والشرابَ، فقالَ مُستهزِئًا: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾؟!

ثمَّ رفعَ إبراهيمُ الفأسَ الّتي في يدِه، وكسّرَ الأصنامَ عدا صَنمٍ كَبيرٍ وضَعَ عليهِ الفأسَ؛ لِيقولَ إذا سألَه قومُه: اسألُوا كبيرَهم، فيَعترِفُوا بأنَّها حِجارةٌ لا تتكلّمُ، وتُقامَ عليهِمُ الحُجّةُ.

ولَمّا رجعَ القومُ مِن عيدِهِم، ودخلُوا علَى أَصنامِهِم وجدُوها قَدْ كُسِّرَتْ، فقالُوا في دَهشةٍ: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟! وتذكَّرَ القومُ إبراهيمَ، فقالَ بعضُهُم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ فأَمرُوا بإِحْضارِه.

حضرَ إبراهيمُ، واجتمعَ عددٌ كبيرٌ مِنَ الناسِ ليَسمعُوا كلامَه ويُحاكمُوه ويُعاقبُوه. فقالُوا لَه: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟ قالَ إبراهيمُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، فحارَ القومُ وقالُوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا

هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، وهكَذا اعترَفُوا بأنَّها حِجارةٌ لا تنطِقُ ولا تتكلّمُ.

وهُنا تعجَّبَ إبراهيمُ مِن قومِه، وقالَ لَهُم: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؟ وسكتَ القومُ ولَم يستطيعُوا رَدًّا، ولكنَّ الكِبْرَ أَعماهُم، فلَمْ يُؤمِنوا باللهِ، ورأَوْا أَنْ يتخلَّصُوا مِن إبراهيمَ، فقرَّرُوا أَنْ يُحرِقُوهُ، فقالُوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾، فجَمعُوا حَطبًا كثيرًا ووضَعُوه في مكانٍ واسعٍ، وأشعلُوا نارًا عظيمةً، ثُمَّ أمسكُوا إبراهيمَ وأَلقَوْهُ في النّارِ وهُوَ يَقولُ: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ. فأمرَ اللهُ سُبحانَه النّارَ ألّا تُحرِقَ إبراهيمَ وألّا تُؤذيَه، وأَنْ تكونَ علَيهِ بَردًا وسَلامًا: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ولَم تُحرقِ النّارُ سوَى الحَبْلِ الّذي كانَ قَيدًا لإبراهيمَ. وبقيَ إبراهيمُ مدّةً في النّارِ وهُوَ في حِفظِ اللهِ ورعايتِه، وخرجَ مِنها سليمًا مُعافًى لَم يُصِبْه أذًى أو سُوءٌ، والناسُ في دَهشةٍ وحَيرةٍ، ولسانُهم يقولُ عن تلكَ المعجزةِ: نِعْمَ الربُّ ربُّكَ يا إبراهيمُ!!